كتاب النغم

ليحيى بن علي بن يحيى المنجم

منقول عن نسخة مصورة عن النسخة الوحيدة المحفوظة بالمتحف البريطاني

عني بتحقيقه والتعليق عليه

محمد بهجة الأثري

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة يحي بن علي[1] بن يحي المنجّم ، مولى أمير المؤمنين المعتضد بالله[2]
في الموسيقى[3]

نقول : قد ذكرنا في كتابنا الذي قبل هذا صفة المغني ، وما يجب أن يكون عليه ؛ ووصفنا ما فيه نهاية من ذلك . ونصف الآن أمر النغم ، وعددها ، وما يأتلف منها[4]

---

(١) أديب شاعر مطبوع ، كثير الافتنان في علوم العرب والعجم . ولد سنة ٢٤١ هـ ، وحدث عن أبيه وعن الزبير بن بكار واسحاق الموصلي وغيرهم ، وروى عنه جماعة منهم أبو بكر الصولي مؤلف (أدب الكتاب) و (الأوراق) . وجالس الموفق والمعتصم وخص به وبالمكتفى من بعده ، وعلت رتبته عند المكتفى . وكان متكلما معتزلى الاعتقاد ، وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بحضرة المكتفى ، وله مع المعتضد وقائع ونوادر . وله كتاب (الباهر فى أخبار شعراء مخضرمى الدولتين) ولم يتممه ، وتممه ولده أحمد ابن يحيى . وكانت وفاته سنة ٣٠٠ هـ

(وترجمته فى تاريخ بغداد للحافظ البغدادى ١٤ : ٢٣٠ ووفيات الأعيان ٢ : ٢٣٥ و ٢٣٦ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٢٨) .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن أبى أحمد الموفق طلحة بن المتوكل على الله العباسى . كان عضدا لأبيه فى حروبه وأعماله ، وولى العهد بعد وفاة أبيه وبعد خلع المفوض بن المعتمد على الله سنة ٢٧٩ هـ ، وبويع له بالخلافة فى اليوم الذى توفى فيه المعتمد لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة ٢٧٩ هـ ، وتوفى لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩ هـ ، فكانت مدة خلافته تسع سنوات وتسعة أشهر وثلاثة أيام .
(راجع أخباره فى تاريخ الطبرى وتاريخ ابن الأثير والتنبيه والأشراف للمسعودى والنبراس لابن دحية ومحاضرات تاريخ الأمم الاسلاميه للخضرى) .

(٣) لم يذكر هذه الرسالة مترجموه كابن النديم والخطيب البغدادى وابن خلكان ، وانما ذكرها أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى (٨ : ٢٥ ط. الساسى) فى بحثه فى (الأصوات التى تجمع النغم العشر) عرضا ، وسماها (كتاب النغم) .

(٤) فى الأصل : « منه » .

ويختلف ، ومواقع إصبع إصبع من وتر وتر ، وموضع كلّ نغمة من كلّ دستان (١) ؛

---

(١) الدستان ، ويجمع على دساتين كما فى المخصص « ١٣ : ١٢ » ومقدمة ابن خلدون . وعلى دستانات كما فى تاج العروس : لفظ فارسى ، يقابله فى العربية «العتب» ، وفى الانكليزية Fret . غير أن العتب لم يستعمله أصحاب الموسيقى ، وانما جاء ذكره فى بعض المعجمات والاشعار القديمة . قال ابن سيده فى المخصص « ١٣ : ١٢ » : « يقال للتى يسميها الفرس الدساتين ، العتب . قال الأعشى :

وثنى الكف على ذى عتب يصل الصوت بذى زير أبح »

وقد أغفل الدستان مجد الدين الفيروزابادى فى القاموس المحيط ، وابن منظور فى لسان العرب ، والجواليقى فى كتاب المعرب ، والخفاجى فى شفاء الغليل ، وانما ورد نعته فى القاموس وفى اللسان فى مادة « عتب » ، وهو قوله : « والعتب : العيدان المعروضة على وجه العود منها تمد الأوتار الى طرف العود . » وفى التاج « ١ : ٣١٤ » : « وعتب العود : ما عليه أطراف الأوتار من مقدمه . عن ابن الأعرابى ، وأنشد قول الأعشى : وثنى الكف ... » البيت السابق الذى رويناه عن المخصص . ثم قال : « العتب : الدستانات ، قاله أبو سعيد . »

وفى مفاتيح العلوم « ١٣٨ » لمحمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمى : « والدساتين : هى الرباطات التى توضع الأصابع عليها ، واحدها دستان . والدستان أيضا : اسم لكل لحن من الالحان المنسوبة الى باربد . » ثم عرض لأسامى دساتين العود فقال : « وأسامى دساتين العود تنسب الى الأصابع التى توضع عليها . فأولها دستان السبابة ويشد عند تسع الوتر وقد يشد فوقه دستان أيضا يسمى الزائد ، ثم يلى دستان السبابة دستان الوسطى وقد يوضع أوضاعا مختلفة فأولها يسمى دستان الوسطى القديمة والثانى يسمى دستان وسطى الفرس والثالث يسمى دستان وسطى زلزل . وزلزل هذا أول من شد هذا الدستان واليه تنسب بركة زلزل . فأما الوسطى القديمة فشد دستانها على قريب من الربع مما بين دستان السبابة ودستان البنصر ، ودستان وسطى الفرس على النصف فيما بينهما على التقريب ، ودستان وسطى زلزل على ثلاثة أرباع ما بينهما الى ما يلى البنصر بالتقريب . وقد يقتصر من دساتين هذه الوسطيات على واحد ، وربما يجمع بين اثنين منها . ثم يلى دستان الوسطى دستان البنصر ويشد على تسع ما بين دستان السبابة وبين المشط . ثم يلى دستان البنصر دستان الخنصر ويشد على ربع الوتر . »

وهذا أوضح كلام وأجمعه فى بيان معنى هذه الكلمة ومواضع استعمالها . أما أصحاب المعجمات الحديثة ، فلم يهتدوا الى معناها ، وكل ما ذكروه عنها اما ناقص لا يدل على شىء واما فاسد لا معنى له ، فالمعلم بطرس البستانى فى محيط المحيط يقول : « الدستان من اصطلاحات أصحاب الموسيقى جـ دساتين . » والشرتونى فى ذيل أقرب الموارد « ص ١٧٠ » يقول : « الدساتين : أوتار العود فيما أظن (الأغانى) ! » والأب لويس معلوف فى المنجد « ٢١١ ط . ١٠ » يقول مثل قوله ، ولكن على سبيل الجزم لا الظن لأن الظن لا يغنى من الحق شيئا !! . وفى معجم دوزى « ١ : ٤٤١ » :

« دستان ، t. de Musique, touche, Be, Descr. de L'eg. XIII 252 n.; Voyez ztcher. IV, 248. »

وآخر ما رأيته للمحدثين فى هذه الكلمة هو القرار الذى اتخذه مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى تعريفات مصطلحات الموسيقى ، ونشر فى مجلته « ٥ : ١٦٧ » ، وهو قوله : « الدستان : موضع عفق الاصبع على الوتر . » وهو بسبيل من تعريف القدماء

ونبين ما سماه (إسحاق بن ابراهيم الموصلي)[١] « المجرى » في الأصوات التي رسم بعضها بمجرى الوسطى ، وبعضها بمجرى البنصر ؛ واختلاف ما بين أصحاب الغناء العربي ، مثل (إسحاق) ونظرائه : ممن جمع العلم بالصناعة والعمل ، وبين[٢] أصحاب الموسيقى يزعمون أنها ثماني عشرة ؛ ونقدمه[٣] شرح بما تجتمع الأفكار[٤] والأفهام .

قال (إسحاق بن إبراهيم) ومن يقول بقوله : إن النغمات عشر ، ليس في العيدان ولا المزامير ولا الحلق[٥] ولا شيء من الآلات أكثر منها . فالنغمة الأولى ، المثنى[٦] مطلقاً ، وهي النغمة التي يبتدئ بها الضارب قدر الطبقة على ما يريد من الشدّة واللين ، ثم يسوي عليها العيدان والمزامير وسائر الآلات ، وتسمى هذه النغمة « العماد » . وإنما سميت « العماد » ؛ لأنها يعتمد عليها في الطبقة والتسوية . والنغمة الثانية ، السبابة على المثنى . والنغمة الثالثة ، الوسطى على المثنى . والنغمة الرابعة ، البنصر على المثنى . والنغمة

---

(١) هو النابغة الظريف نديم الخلفاء ، المحدث الفقيه الكلامى اللغوى الاخبارى الأديب الشاعر المتفنن ، كتب الحديث عن سفيان بن عيينة ومالك بن أنس ، وأخذ الأدب عن الأصمعى وأبى عبيدة ، وبرع فى علم الغناء فغلب عليه ونسب اليه ، وكان الخلفاء يكرمونه ويقربونه ، وكان المأمون يقول : « لولا ما سبق لاسحاق على ألسنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليته القضاء بحضرتي ، فانه أولى به وأعف وأصدق وأكثر دينا وأمانة من هؤلاء القضاة » ولكنه اشتهر بالغناء ، وغلب على جميع علومه ، مع أنه أصغرها عنده ، ولم يكن له فيه نظير .

كان كثير الكتب حتى قال ثعلب : « رأيت لاسحاق الموصلى ألف جزء من لغات العرب ، وكلها سماعه ، وما رأيت اللغة فى منزل أحد قط أكثر منها فى منزل اسحاق ثم منزل ابن الأعرابى » ، وله نظم جيد وديوان شعر .

وكانت ولادته فى سنة ١٥٠ هـ ، ووفاته فى سنة ٢٣٥ هـ .

(وترجمته فى الأغانى ٥ : ٤٩ الى ١٣٤ ـ راجع فهرس الأغانى ، وفى الوفيات ١ : ٦٥ و ٦٦) .

(٢) كذا الأصل ، ولعل لفظ « بين » زائد ، فتكون الجملة : « وأصحاب الموسيقى يزعمون أنها ثمانى عشرة »

(٣) كذا . (٤) فى الأصل : « الأكار » .

(٥) لا يعرف فى أسماء الآلات ما يسمى (الحلق) ، فلعله (العنق) . قال الخوارزمى فى مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) : « العنق : الرباب ، معروف لأهل فارس وخراسان » .

(٦) ضبطه الخوارزمى فى مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) « بفتح الميم وتخفيف النون على تقدير معنى ومغزى » .

الخامسة ، الخنصر على المثنى . فهذه خمس نغم عليها المثنى ، ثم يصير الى الزّير[١]. فيلقى مطلقه ؛ لأنه مثل نغمة الخنصر على المثنى ، ولا فرق بينهما . ثم النغمة السادسة ، السبابة على الزّير . والنغمة السابعة ، الوسطى على الزّير . والنغمة الثامنة ، البنصر على الزّير . والنغمة التاسعة ، الخنصر على الزّير . فهذه أربع نغم في الزّير . وبقيت النغمة[٢] العاشرة ، فكرهوا أن يفردوا لها وتراً ، فيكونوا قد زادوا في العود وتراً خامساً من أجل نغمة واحدة ولا يخرج فيه غيرها ، فطلبوها في أسفل هاتين ، فوجدوها في أسفل دستان الزّير بالبنصر اذا جعلت السبابة من الزّير بالبنصر منه ووقعت البنصر من أسفل المقدار مسافة ما بين دستان السبابة ودستان البنصر ، ووجدوها أيضاً تخرج في المثلث[٣] بالبنصر ، فاستغنوا بوجودها في هذين الموضعين عن أن يزيدوا في العود وتراً خامساً .

فهذه عشر نغمات متناسبات لا تشبه نغمةٌ منها نغمةً .

وألين النغم ، مطلق المثنى . وأشدّها وأحدّها النغمة التي تخرج في أسفل دستان الزّير ، ثم لم يزل يصعد من شدة الى لين الى أن يصير الى نغمة مطلق المثنى . وإنما لم يعتد المثلث والبمّ[٤] بنغمة ؛ لأنهم وجدوا كلّ نغمة فيهما يخرج في المثنى والزّير ،

---

(١) الزير : أهمله الجواليقى فى كتابه (المعرب) ، وهو الدقيق من الأوتار ، أو أحدها وأحكمها فتلا ، وزير المزهر مشتق منه ، كما فى (القاموس) و (تاج العروس) . وفى (شفاء الغليل) : « الزير ، اسم وتر ... ذكره الجوهرى ، وهو معرب . قال ابن الرومى :

فيه بم وفيه زير من النغـ م وفيه مثالث ومثانى

قال : « وهذه أسماء الأوتار كلها . » وفى مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) : « هو رابع أوتار العود الأربعة » ، قال : « وهو أدقها . »

(٢) فى الأصل : « النغم » .

(٣) ضبطه الخوارزمى فى مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) « بفتح الميم وتخفيف اللام على مثال مطلب » .

(٤) البم : قال الجواليقى فى (المعرب) : « أحد أوتار العود الذى يضرب به . أعجمى معرب . » وزاد الجوهرى أنه « الوتر الغليظ من أوتار المزهر » . وفى شفاء الغليل : « من أوتار العود ، وهو والباج بمعنى (واحد) ، وهو معرب » . وفى مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) : « أوتار العود أربعة : أغلظها البم ، والذى يليه المثلث ... والذى يلى المثلث ... المثنى ... والرابع هو الزير ، وهو أدقها . »

وذلك أن مطلق المثلث مثل السبّابة على الزّير ، وسبّابة المثلث مثل البنصر على الزّير ، ووسطى المثلث مثل الخنصر على الزّير ، والبنصر على المثلث مثل النغمة التي في أسفل دستان الزّير ، وخنصر المثلث مثل مطلق المثنى . وكذلك البمّ أيضاً ، مطلقه مثل سبّابة المثنى ، وسبّابته مثل البنصر على المثنى . ووسطاه كمثل الخنصر على المثنى ، وبنصره يبطل لعلة نذكرها في موضع غير هذا ، وخنصره مثل مطلق المثنى . وربما استعمل المغني بنصر |ه|[1] على المثلث .

وهذه صورة العود وأوتاره[2] ونغمه كلها ، وقد رسمنا النغم بحروف الجُمَّل[3] ليفهم

---

(١) هذه الزيادة منا .

(٢) فى الأصل : « وأوتازها » .

(٣) فى القاموس المحيط وشرحه التاج : « والجمل كسكر : حساب الجمل ، وهى الحروف المقطعة على أبى جاد . قال ابن دريد : لا أحسبه عربيا . وقد يخفف ، قاله بعضهم ، قال ابن دريد : ولست منه على ثقة . »

قلت : وقد استعملت هذه الحروف للدلالة على الأعداد ، ويسمى الحساب بها حساب الجمل ، وأكثر ما يستعمل فى الأعمال الفلكية ، ثم فى التواريخ الشعرية ، ولكنه فى الأعمال الفلكية التزم فيه تقديم الأكثر على الأقل ، فيكتب ١٣ هكذا : حـ بقطع طرف الجيم لئلا يشتبه بالحاء ، و١٨ هكذا : يح ، و١٩ هكذا : يط ، و٥٣ هكذا : نج بنقط النون لئلا تلتبس بالياء . وحيث انهم يحتاجون فى الأغلب الى بيان الدرج والدقائق والثوانى ونحو ذلك ، وقد تخلو بعض المراتب من العدد ، اضطروا الى اختراع شكل للصفر ؛ ليضعوه فى المرتبة الخالية ، وقد جعلوا صورته هكذا : ''ııı'' ، أو هكذا : « ، » .

وقد وقع الاختلاف بين المغاربة والمشارقة فى ترتيب الحروف فى (أبجد) ، فوقع بسبب ذلك الاختلاف فى بعض أعداد الحروف . وقد نشأ من هذا الاختلاف اختلاف آخر ، وهو الترتيب الذى جرى عليه العمل فيما بعد ، وهو الجمع بين الحروف المتشابهة فى الصورة .

والخلاف بين طريقتى المشارقة والمغاربة فى أعداد ستة أحرف ، وهى : السين والصاد المهملتان والشين والضاد والظاء والغين المعجمات . فالسين عند المشارقة بستين، وعند المغاربة بالثلاث مئة التى هى عدد الشين المعجمة عند المشارقة ، وهى عندهم آخر الحروف بالألف الذى هو عدد الغين عند المشارقة ، وهى عند المغاربة بالتسع مئة التى هى عدد الظاء عند المشارقة ، وهى عندهم بالثمان مئة التى هى عدد الضاد عند المشارقة ، وهى عند المغاربة بالتسعين الذى هو عدد الصاد عند المشارقة ، وهى عند المغاربة بستين عدد السين عند المشارقة .

وهاك ترتيب هذه الحروف حين الحساب بالجمل لدى الفريقين :

(ا) ترتيب المشارقة : أ ب ج د هـ و ز ح ط ى ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ .

=

في الصورة ، فجعلنا النغمة الأولى ا ، والثانية ب ، والثالثة جـ ، ثم هـ ، ثم و ، ثم ز ، ثم ح ، ثم ط ، ثم ى[1]. فان قال قائل : فما الانتساب الى المثلث والبمّ اذا لم يكن فيها[2] نغمة إلا في المثنى والزّير ؟ والجواب في ذلك أن النغمات التي فيها دل[3] ذلك في المثنى والزير نحافة وجهارة بقدر فضل[4] منظر البمّ والمثلث في غلظها على لينها على منظر المثنى والزّير في لطافتها مع شدتها ، ليست لنظائر يحكونها[5] بمثلها من الأوتار ، ولو حكوها بنظائرها من المثنى والزّير أمكنهم ، ولكن حكايتها بالبمّ والمثلث أبلغ وأتمّ . وأيضاً إنّ مما دعاهم الى البمّ والمثلث الحاجةَ الى تحسين الضرب وتأليف الأوتار ، ليختلف على الأوزان ، فيسمع مرّةً النغمة في المثنى والزّير بدقة وشدة ، ومرةً في البمّ والمثلث بجهارة ولين ، وإن كانت هذه النغمُ تلك النغمَ بأعيانها ؛ لأنها اذا اختلفت في السمع كانت أعجب الى السامع ، وأحسن في مسموعه من أن يتكرر على أذنه شيء واحد بعينه . وفيها أيضاً أن الأوتار اذا كانت أربعة وسبعين بالنظائر من النغم التي في البم والمثلث على نظائرها من النغم التي في المثنى والزير في مداراة الأوتار وتقويمها ، واستغني عن وتر إن انقطع وقت الحاجة بوتر غيره الى أن يعاد . وفيها أيضاً تكثير الطبقات والاتساع فيها ؛ لينتقل المنتقل منها الى أوفقها وأسهلها عليه .

وقال القدماء من أصحاب الموسيقى : النغم ثماني عشرة نغمة ، واحتسبوا بالنغم التي في المثلث والبمّ ، وجعلوا أولى النغم مطلق البمّ ، والثانية الوسطى عليه ، واتحدوا على

= (ب) ترتيب المغاربة : أ ب ج د هـ و ز ح ط ى ك ل م ن ص ع ف ض ق ر س ت ث خ ذ ظ غ ش .

أما اختلاف الفريقين فى ترتيب حروف التهجي ، فانه بعيد عن الغرض الذى استدعى هذا التعليق هنا .

(١) كذا ورد ترتيب هذه الحروف فى النسخة المصورة فسقط منها الدال بعد الجيم ، وأثبت فى مكان الزاى ، ولست أشك فى أنه تحريف من الناسخ . وفى الأصل بعد الياء بياض مقداره ٤ × ٤ س تركه الناسخ لرسم العود ، ولم يرسمه .

(٢) فى الأصل : « فيها » .

(٣) كذا .

(٤) فى الأصل « فصل » .

(٥) فى الأصل « يحكوها » .

هذا الترتيب ، وزعموا أن النغم التي في المثلث والبم ليست مثل النغم التي في المثنى والزير وإن كانت يوجد لها موافقة للسمع ، وذلك لأنهم ذكروا أن اتفاقها إنما يقع اذا نقرت معاً واتحدت . فأما اذا نقرت كل واحدة على الانفراد ، فان السامع يقف على أن النغم التي في المثلث والبم غير النغم التي في المثنى والزير اذا كانت أضعافها ، وكانت نغمة الوتر لا تكون[١] مثل نغمة نصفه اذا أفردت من كل واحد من الكل والنصف .

وإنما الاختلاف بين إسحاق ومن قال بقوله وبين أصحاب الموسيقى أن إسحاق جعل النغم تسعاً ، وجعل العاشرة نغمة الضعف ؛ لأنه يرى أن نغم الاضعاف[٢] أخذه ، وأصحاب الموسيقى عمدوا الى هذه النغم التسع فأضعفوها ، واحتسبوا الكل ضعف نغمة منها أيضاً ، فصارت ثماني عشرة نغمة ، ولها – على الصوت منها في القياس ولم يسمه – نغمتان بسطها[٣] اعداد يعرف بالحساب ، ووضع قانون لها لطلبهم فيه كلها على الأزواج والأفراد . وشرح العلة في وضع الدساتين من العود بحيث وضعت منه ، كلام يطول الكتاب باستيفائه .

قال يحيى بن علي بن يحيى المنجم : نرجع الى ما ذكره إسحاق بن إبراهيم الموصلي فيما يسميه « المجرى » ، وما وصف به ائتلاف المعنى واختلافها .

قال إسحاق : إن نغم كل طبقة[٤] يكون مجريين : أحدهما منسوب الى الوسطى ، والآخر الى البنصر ومايلت[٥] الاصبعان تتعاقبان في التناول يدخل واحدة منهما على الأخرى ، ونحن نثبتها فيما بعد .

والنغم المؤتلفة ست نغمات ، والنغم المختلفة أربع نغمات .

فأما الست النغم المؤتلفة ، فهي : المثنى مطلقاً ، والسبابة ، والخنصر ، والبنصر على الزير ، فهذه تأتلف مع المجريين جميعاً ، فانها [اذا][٦] أدخلت هذه النغم الست عليها[٧]

---

(١) في الأصل بالياء المثناة .

(٢) بياض في الأصل مقدار كلمتين . (٣) كذا .

(٤) في الأصل : « ان نغما كل طبقا » .

(٥) كذا الاصل ، وقوله « تتعاقبان » هو في الاصل « يتعاقبان » .

(٦) الزيادة منا لتستقيم بها العبارة .

(٧) في الأصل : « عليهما » . والعبارة مع هذا التصحيح لا تزال تشعر بالنقص .

النغمات معا كائتلافهما ، فان أدخلت هذه الست النغم على البنصر ، كان المجرى للبنصر ، ونسب الصوت اليها فقيل فيه مجرى البنصر .

وأما الأربع النغمات المختلفة ، فان اثنتين منها متضادتان[1] لا تأتلفان معاً ولا تجتمعان في صوت ، وهما الوسطى والبنصر على المثنى اللتان ينسب اليهما[2] المجريان . وأما الاثنتان[3] الباقيتان من الأربع النغم المختلفة ، فهما الوسطى على الزّير والبنصر على المثلث ، وليس تأتلفان في موضع . فأما الوسطى على الزّير ، فانها تأتلف مع الوسطى على المثنى في مجراها ، إلا في موضع واحد لا يأتلف معها فيه ، وهو منها الى البنصر على الزّير ومن البنصر على الزير اليها . وأما البنصر على المثلث ، فانها تأتلف مع البنصر على المثنى في مجراها ، والموضع الذي تأتلف معها فيه منها الى الوسطى على المثلث ومن الوسطى على المثلث اليها . وكما أن البنصر على المثلث مثل التي تخرج في الزير بالنقر[4] في أسفل الدساتين ، وأن الوسطى على المثلث مثل الخنصر على الزير ، وكذا[5] لا تأتلف البنصر على المثلث مع الخنصر على الزير ، ولا على[6] الخنصر على الزير معها ، ولا تأتلف الخنصر على الزير التي تخرج بالبنصر في أسفل الدساتين ، ولا التي تخرج بالبنصر معها — فجميع الذي يأتلف في غناء العرب من النغمات العشر ويكون فيه الغناء ثماني نغمات ، تبين مذهبهم في ذلك وبدد[7] بعض النغم الى بعض أكثر ما يبنى عليه الصوت منها النغمات الثماني كلها . فعلى هذا يأتلف نغم غناء العرب ، وعليه تجري عامة أصناف الغناء . وقد يمكن أن يؤلف الصوت[8] حتى يكون مؤلفاً من تسع نغمات ، ومن العشر النغمات كلها ، وذلك مثال بتأليف[9] لطيف وحيلة رفيعة وعلم بوجود التأليف ومصارفه ، وليس بأن

---

(١) في الأصل : « فان اثنين منهما متضادان » .

(٢) في الأصل : « اليها » .

(٣) في الأصل : « الاثنا الباقيان » .

(٤) في الأصل : « والتنقر » .

(٥) في الأصل : « وك » .

(٦) لعل هذا الحرف زائد . (٧) كذا .

(٨) في الأصل : « للصوت » .

(٩) كذا ، ولعله « مثل تأليف » .

شيئاً مما ذكر ولأنه لا يأتلف في المواضع التي وصفنا يأتلف[١] ، ولكنه بالخروج من المجرى الى المجرى ، والانتقال اليه ، والدخول فيه من المواضع الممكنة التي يحسن ذلك فيها ، حتى لا ينكره السمع ، ولا يفصل للمجرى الواحد ، فيبنى عليه الصوت ؛ فانه اذا كان كذلك[٢] ، لم يكن ذلك . وليس في العربية هذا التأليف ، وقد يدلّ بعضها على أنه فيها لو تكلفه العالم ، لما هو ممكن موجود ، وذلك لأننا لا نزال[٣] نجد الصوت قدر القوة من المجريين جميعاً من غير أن يبلغوا معه أكثر من ثمان نغمات ، وربما كان دونها ، وذلك من غنائهم قليل . ومن ذلك صوت ابن مِسْجَح[٤] ، ويقال : إنه لابن مُحْرِز[٥] :

---

(١) كذا . (٢) في الأصل « كـ » .

(٣) في الأصل « لا يزال » .

(٤) في الأصل : « ابن مسجح » بحاءين ، وهو خطا . وهو أبو عثمان سعيد بن مسجح ، مولى بني جمح ، وقيل مولى بني نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب . مكي أسود ، مغن متقدم من فحول المغنين وأكابرهم ، وأول من صنع الغناء منهم ، ونقل غناء الفرس الى غناء العرب . ثم رحل الى الشام وأخذ الحان الروم والبربطية والأسطوخوسية ، وانقلب الى فارس فاخذ بها غناء كثيرا ، وتعلم الضرب ، ثم قدم الى الحجاز ، وقد أخذ محاسن تلك النغم ، والقى منها ما استقبحه من النبرات ، والنغم التى هى موجودة فى نغم غناء الفرس والروم خارجة عن غناء العرب ، وغنى على هذا المذهب ، فكان أول من اثبت ذلك ولحنه ، وتبعه الناس بعده .

وكان ابن مسجح فى مكة لما حاصرها الأمويون ، وفيها ابن الزبير ، فى أواخر القرن الأول للهجرة . (واخباره فى « الأغانى » ٣ : ٨١ الى ٨٥) .

(٥) فى الأصل « ابن محرر » ، وهو خطأ . وهو مسلم بن محرز ، وقيل : سلم ، وقيل : عبدالله ، ويكنى أبا الخطاب مولى بنى عبدالدار بن قصى ، وكان أبوه من سدنة الكعبة ، أصله من الفرس . وكان ابن محرز يسكن المدينة مرة ومكة مرة ، وتعلم الضرب فى المدينة من عزة الميلاء ، وشخص الى فارس فتعلم الحان الفرس واخذ غناءهم ، ثم صار الى الشام فتعلم الحان الروم واخذ غناءهم ، فأسقط من ذلك ما لا يستحسن من نغم الفريقين ، واخذ محاسنها فمزج بعضها ببعض والف منها الأغانى التى صنعها فى أشعار العرب ، فاتى بما لم يسمع مثله .

أجمل بعض معاصريه وصفه فقال « كأنه خلق من كل قلب فهو يغنى لكل انسان بما يشتهى » . قال أبو الفرج : « وهذه الحكاية بعينها قد حكيت فى ابن سريج ، ولا ادرى أيهما الحق » . (واخباره في الأغاني ١ : ١٤٥ الى ١٤٧ الخ) .

يا من لقلب مقصر ترك المنى لفواتها[١]

فان الوسطى والبنصر على المثنى قد تنازعتاه ، واشتركتا[٢] فيه ، فافهم هذا واعرفه ؛ فانا لا نقدر من صفة فعل نقول[٣] إلا على نحو ما وصفنا .

وقد تلطف[٤] عبيدالله [بن عبدالله][٥] بن طاهر حتى جمع العشر النغم في صوتين ، فجعل في أحدهما النغمات العشر على التوالي ، وحملها على الصوت الآخر على التقديم والتأخير . فأما الصوت الذي من النغم[٦] على التوالي ، فهو (شعر)[٧] :

توهمت بالخيف رسماً محيلا لعزّة تعرف منه الطلولا[٨]

---

(١) قال أبو الفرج فى الاغانى ٨ : ٤٦ : « الشعر لمسافر بن أبى عمرو بن أمية ابن عبدشمس ، والغناء لابن محرز ثانى ثقيل مطلق فى مجرى البنصر عن اسحاق . وهذا الصوت يجمع من النغم ثمانيا ، وكذلك ذكر اسحاق ، ووصف أنه لم يجمع شيء من الغناء قديمه وحديثه الى عصره من النغم ما جمعه هذا الصوت ، ووصف أنه لو تلطف متلطف لأن يجمع النغم العشر فى صوت واحد ، لأمكنه ذلك بعد أن يكون فهما بالصناعة طويل المعاناة لها ، وبعد أن يتعب نفسه فى ذلك حتى يصح له ، فلم يقدر على ذلك سوى عبيدالله بن عبدالله الى وقتنا هذا » . (٢) فى الأصل « تنازعاه واشركنا » .

(٣) الجملة مضطربة ، فلعلها « فانا لا نقدر فى صفة فعل أن نقول » .

(٤) فى الأصل « لطف » .

(٥) الزيادة من الأغانى (٨ : ٤٢ و ٤٦ و ١٩٠) . وهو أبو أحمد عبيدالله بن عبدالله بن طاهر بن الحسين ، قال أبو الفرج : « وله محل من الأدب والتصرف فى فنونه ، ورواية الشعر وقوله ، والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل من الفلاسفة فى الموسيقى والهندسة ، وغير ذلك مما يجل عن الوصف ، ويكثر ذكره . وله صنعة فى الغناء حسنة متقنة عجيبة تدل على ما ذكرناه هنا من توصله الى ما عجز عنه الأوائل من جمع النغم كلها فى صوت واحد ، تتبعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها » .

قال : « وكان المعتضد بالله رحمة الله عليه ربما كان أراد أن يصنع فى بعض الأشعار غناء ، وبحضرته أكابر المغنين ... فيعدل عنهم اليه ، فيصنع فيها أحسن صنعة ، ويترفع عن اظهار نفسه بذلك ، ويومىء الى أنه من صنعة جاريته (شاجى) ، وكانت احدى المحسنات المبرزات المقدمات ، وذلك بتخريجه وتأديبه ، وكان بها معجبا ولها مقدما » .

قال : « وأشعاره كثيرة جيدة ، كثير النادرة والمختار . وكتابه فى النغم وعلل الأغانى المسمى (كتاب الآداب الرفيعة) كتاب مشهور جليل الفائدة ، دل على فضل مؤلفه » .

(٦) يريد النغم العشر

(٧) الشعر لكثير عزة ، الشاعر الغزل المشهور « ترجمته فى الأغانى ٨ : ٢٥ الى ٤٢ » . والغناء لعبيدالله بن عبدالله بن طاهر ، قال أبو الفرج : « ونسبه الى جاريته ، وكنى عنها فذكر أن الصنعة لبعض من كثرت دربته بالغناء وعظم علمه وأتعب نفسه حتى جمع النغم العشر فى هذا الصوت ، وذكر أن طريقته من الثقيل الأول وانه ليس يجوز أن ينسبه الى اصبع مفردة ، الى آخر ما قال . « الأغانى ٨ : ٢٤ و٢٥ » .

(٨) فى الأصل « لغيره يعرف منها الطلولا » والتصحيح من الأغانى « ٨ : ٢٤ ط =

تبدّل بالحيّ صوت الصدى ونوح الحمامة تدعوا هديلا[١]

فانه جعل أوّل نغمة من هذا الصوت مطلق المثنى ، ثم مرّ في النغم على الولاء حتى صار الى النغمة الحادّة التي تخرج في أول دستان الزّير ، وهي العاشرة ، ثم يرجع الى نغمة مطلق المثنى ، وجعلها مقطع الصوت .

وأما الصوت الذي يجمع العشر النغم على التقديم والتأخير ، فهو (شعر) :

فانك إذ أطمعتني منك بالرضى وأيأستني من بعد ذلك بالغضب

كممكنة من ضرعها كفّ حالبٍ ودافعة من بعد ذاك ما حلب[٢]

فهذا شرح أمر النغم وما يجري عليه . ومن تدبره بفهمٍ وامتحن ما بيّنّا فيه ، وقف من أمر الغناء على ما يكتفي به ويتقدم في أمر المعرفة به أهل عصره ؛ فان أكثرهم ممن يدّعي الحذق بهذه الصناعة ، [و] لو امتحن بهذه المسألة عن بعض ما ذكرنا في هذا الكتاب لقصرت معرفته عنه .

تمت الرسالة يوم پنجشنبه ٢ شهر جمادى[٣] الأولى سنة ١٠٧٣

تمت[٤] مقابلته بالأصل يوم الأربعاء ٢٥ المحرم[٥] سنة ١٠٧٤ في بلدة كشمير

= ساسى » . وقد شرح أبو الفرج هذا البيت والذى يأتى بعده فقال : « الخيف الذى عناه كثير ليس بخيف منى ، بل هو موضع آخر فى بلاد ضمرة . والطلول : جمع طلل ، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الديار ، ويزعم أهل الجاهلية أن الصدى طائر يخرج من رأس المقتول ، فلا يزال يصيح حتى يدرك بثأره ، قال طرفة :

كريم يروى نفسه فى حياته ستعلم ، ان متنا صدى ، أينا الصدى .

والحمام : القمرى ونحوها من الطير . والهديل : أصواتها . »

(١) الشعر لابن هرمة ، ابراهيم بن على بن سلمة بن هرمة بن هذيل ، من مخضرمى شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، ولد سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة أربعين ومئة قصيدته التى يقول فيها :

ان الغوانى قد أعرضن مقلية لما رمى هدف الخمسين ميلادى

ثم عمر بعدها مدة طويلة . (وأخباره فى الأغانى ٤ : ١٠١ الى ١١٣) .

(٢) البيتان فى الأصل :

ذانك طمعتى منك بالرضى واناسين من بعد ذلك بالغضب

كممطيه من طوعها كف حالت ودافعه من بعد ذلك ما حلت

والتصحيح من الأغانى « ٨ : ٤٤ ط ساسى » .

(٣) فى الأصل « جماد » وصوابه التأنيث « جمادى » كما أثبتناه . أما (شهر) فاضافتها هنا ممنوعة .

(٤) فى الأصل « تم » . (٥) فى الأصل « محرم » والصواب تعريفه .